المحاضرة الثالثة في علوم القرآن

(العِقْدُ الأَولُ: ما يَرجعُ إلى التُّزُولِ زَماناً ومكاناً ، وهو اثنا عَشَرَ نوعا)

بعد أن انهى المؤلف الناظم_رحمه الله تعالى_ مُقدمتهُ شرع في بيان العُقود الستة التي رتب علبها منظومته فذكر العقد الأوّل وفيه ما يرجِعُ إلى النزول، نزول القرآن زمانًا ومكانًا؛ فبدأ بالمكان ثمّ ثَنّا بالزمان، وما يتعلق بالنزول إثنا عشر نوعًا من الخمسة والخمسين، الأوّل والثاني: المكي والمدني، (شرح الخضير)

كم علما يتعلق بالنزول ؟ -

- المكي والمدني والليلي والنهاري والصيفي والشتائي وهذه متعلقة بزمن النزول ، والفراشي والحضري والسفري وهذه متعلقة بمكان النزول ، وأسباب النزول ،وأول ما نزل ، وآخر ما نزل

الأولُ والثاني : المكيُّ والمَدنيُّ

والمكي نسبة إلى مكة وهي البلد الحرام

- **فأما مكة فقال** الحموي في معجم البلدان (باختصار وتصرف)

مكة بيت الله الحرام اختلف في اشتقاقها فقيل : سميت مكة لأنها تمك الجبارين أي تذهب نخوتهم ويقال إنما سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم قد امتك الفصيل ضرع أمه إذا مصه مصا شديدا وسميت بكة لازدحام الناس بها ، ويقال أيضا سميت مكة لأنها عبدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم أمتك الفصيل أخلاف الناقة إذ جذب جميع ما فيها جذبا شديدا فلم يبق فيها شيئا وهذا قول أهل اللغة ، وقيل إنها تمك الذنوب أي تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع أمه فلا يبقي فيه شيئا

-ويقال مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت ،وقال آخرون مكة هي بكة والميم بدل من الباء ، وقال آخرون بكة موضع البيت وما حول البيت مكة ، وقال آخرون سميت بكة لأنها لا يفجر بها أحد إلا بكت عنقه فكان يصبح وقد التوت عنقه ، وسماها الله تعالى أم القرى فقال لتنذر أم القرى ومن حولها وسماها الله تعالى البلد الأمين في قوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد

والمدني نسبة إلى المدينة المنورة

وأما المدينة فهي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ذكرها الله في عدة آيات " تبوءوا الدار " ، " ما كان لأهل المدينة " ، " يا أهل يثرب لا مقام " ، واختلف في النسبة إليها ، فقيل المديني هو الذي أقام بالمدينة ولم يفارقها والمدني الذي تحول عنها وكان ، وقيل :النسبة إلى مدينة الرسول مدني مطلقا وإلى غيرها من المدن مديني للفرق لا لعلة أخرى ، وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا مديني

ولهذه المدينة تسعة وعشرون اسما وهي المدينة وطيبة وطابة ..، وروي في قول النبي صلى الله عليه و سلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق قالوا المدينة ومكة (معجم البلدان (5/ 83)

- **كم فترة الوحي ؟**

المشهور عند الجمهور أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد في شهر ربيع الأول وأنه بعث في شهر رمضان فعلى هذا يكون له حين بعث أربعون سنة ونصف أو تسع وثلاثون ونصف فمن قال أربعين ألغى الكسر أو جبر

أما قول أنس " فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه" فمقتضاه أنه عاش ستين سنة وقد أخرج مسلم من وجه آخر عن أنس أنه صلى الله عليه و سلم عاش ثلاثا وستين ، وفي رواية هشام بن حسان عن عكرمة عن بن عباس لبث بمكة ثلاث عشرة وبعث لأربعين ومات وهو بن ثلاث وستين وهذا موافق لقول الجمهور - ابن حجر (570/6، 8/ 150)

قال الحافظ : " **والحاصل** إن كل من روى عنه من الصحابة ما يخالف المشهور وهو ثلاث وستون جاء عنه المشهور وهم بن عباس وعائشة وأنس ولم يختلف على معاوية أنه عاش ثلاثا وستين وبه جزم سعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد وقال أحمد هو الثبت عندنا ، فالمعتمد أنه عاش ثلاثا وستين وما يخالف ذلك إما أن يحمل على إلغاء الكسر في السنين وإما على جبر الكسر في الشهور وأما حديث أنس **بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً)** فيمكن أن يجمع بينه وبين المشهور بوجه آخر وهو أنه بعث على رأس الأربعين فكانت مدة وحي المنام ستة أشهر إلى أن نزل عليه الملك في شهر رمضان

من غير فترة ثم فتر الوحي ثم تواتر وتتابع فكانت مدة تواتره وتتابعه بمكة عشر سنين من غير فترة أو أنه على رأس الأربعين قرن به ميكائيل أو اسرافيل فكان يلقى إليه الكلمة أو الشيء مدة ثلاث سنين كما جاء من وجه مرسل ، ثم قرن به جبريل فكان ينزل عليه بالقرآن مدة عشر سنين بمكة (فتح الباري – ابن حجر (9/ 4(

ويؤخذ من هذا الحديث أنه نزل مفرقا ولم ينزل جملة واحدة ، وأخرج النسائي وأبو عبيد والحاكم من وجه آخر عن بن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة وقر"أ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث" الآية وفي رواية للحاكم والبيهقي في الدلائل فرق في السنين ، وفي أخرى صحيحة لابن أبي شيبة والحاكم أيضا وضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه و سلم وإسناده صحيح

ووقع في المنهاج للحليمي أن جبريل كان ينزل منه من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى السماء الدنيا قدر ما ينزل به على النبي صلى الله عليه و سلم في تلك السنة إلى ليلة القدر التي تليها إلى أن أنزله كله في عشرين ليلة من عشرين سنة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، وهذا أورده بن الأنباري من طريق ضعيفة ومنقطعة أيضا ، وما تقدم من أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك مفرقا هو الصحيح المعتمد

وحكى الماوردي في تفسير ليلة القدر أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه و سلم في عشرين سنة وهذا أيضا غريب

والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه و سلم في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة كذا جزم به الشعبي فيما أخرجه عنه أبو عبيد وبن أبي شيبة بإسناد صحيح

وكان بدء الوحي أن أول نزول جبريل بالقرآن كان في شهر رمضان ، وكان جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه و سلم بالقرآن في شهر رمضان وفي ذلك حكمتان إحداهما تعاهده والأخرى تبقية ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ ، فكان رمضان ظرفا لإنزاله جملة وتفصيلا وعرضا وأحكاما (فتح الباري)

مَكِّيُّهُ ما قَبْلَ هِجْرَةٍ نَزَلْ   والمَدَنِيْ مَا بعدها ، وإِنْ تَسَلْ

- **الفرق بين المكي والمدني :**

- واختُلف في المراد بالمكي والمدني على اصطلاحات ثلاثة فمنهم من يقول: المكي ما نزل بمكة. والمدني ما نزل بالمدينة. وعلى هذا القول يثبُتُ من القرآن ما ليس بمكي ولا مدني، مما نزل خارج مكة والمدينة. ،فهو غير ضابط ولا حاصر؛ فقوله –تعالى– في سورة التوبة: لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ الآية نزلت بتبوك، وقوله تعالى في سورة الزخرف: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ الآية، فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء.فلا يدخل لا في المكي ولا في المدني على هذا القول .

- والقول الثاني:أن المكي ما نزل قبل الهجرة، ما نَزَل قبل الهجرة ولو نزل خارج مكة.والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو نزل بمكة.

  ومعلوم أن الهجرة النبوية تعتبر همزة الوصل التي تصل بين شقي الزمن: شق الماضي وشق المستقبل، والماضي نوعان: ماض بعيد في عهد النبوات والمرسلين، وماض قريب ابتداءً من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت الهجرة نقلة انتقلت الدعوة من مهدها الأول بعد ثلاث عشرة سنة، وجاءت إلى المدينة لعشر سنوات فقط وبها تمت الرسالة.(دروس الهجرة لعطية سالم

- والقول الثالث: أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة. وهو أيضا غير ضابط ولا حاصر، فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما، نحو قوله تعالى في فاتحة سورة الأحزاب: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ الآية، وقوله تعالى في سورة الكوثر: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ الآية وغيرهما.

ويرد عليه أن هناك سورًا مدنية ورد فيها الخطاب بصيغة يَا أَيُّهَا النَّاسُ وسورًا مكية ورد فيها الخطاب بصيغة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مثال الأولى سورة البقرة، فإنها مدنية وفيها يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الآية، ومثال الثانية سورة الحج، فإنها مكية عند بعض أهل العلم، وفيها يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا الآية.

والراجح هو القول الثاني للأسباب التالية :

1- أنه ضابط وحاصر ومطرد لا يختلف، واعتمده العلماء واشتهر بينهم.

2- أن الاعتماد عليه يقضي على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكي والمدني.

3- أنه أقرب إلى فهم الصحابة -رضي الله عنهم- حيث إنهم عدوا من المدني سورة التوبة، وسورة الفتح وسورة المنافقون، ولم تنزل سورة التوبة كلها بالمدينة، فقد نزل كثير من آياتها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو في طريق عودته من تبوك، ونزلت سورة الفتح على النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو عائد من صلح الحديبية، ونزلت سورة المنافقون عليه، وهو في عزوة المصطلق.

4- أن الفائدة أكبر في معرفة زمانه الذي يَترتبُ عليه معرفةُ المتقدم من المتأخر ، وبه يُتوصلُ إلى القول بالنسخ عند التعارض وعدم إمكان الجمع. فالقرآن المدني ينسخ المدني الذي نزل قبله، وينسخ المكي أيضا، ولا يجوز أن ينسخ المكي المدني.

- والناظم رحمه الله اعتمد القول الراجح واضرب عن ذكرٍ ما سواه.

وربما كان الوارد عن بعض الصحابة التنبيه على معرفة المكان دون الزمان؛ كالوارد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه» ، وقد ورد هذا المعنى عن غيره من السلف.

- قال د/ الطيار :" أول من رأيته نصَّ على هذا الضابط الزماني يحيى بن سلام البصري (ت200هـ) قال: «... وإن ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي عليه السلام المدينة فهو من المكي.وما نزل على النبي عليه السلام في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني» ، وهذا الضابط الزماني هو الذي اعتمده العلماء المتأخرون، وسارت به الكتب بعدهم. والمقصود هنا التنبيه على أنه لا تعارض بين مذهب السلف في التعبير عن النُّزول بالمكان، وما ذهب إليه المتأخرون من العلماء من أن ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني؛ لأن السلف كانوا يعتنون بذكر المكان، ويعملون بالزمان في تطبيقاتهم التفسيرية، ومما يدل

على ذلك ما يأتي: قال سعيد بن منصور: حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر قال: «سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى: {وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرعد: 43] أهو عبد الله بن سلام؟ فقال: كيف؟ وهذه السورة مكية» (المحرر في علوم القرآن ص 118)

فوائد معرفة المكي والمدني :

1- معرفة الناسخ والمنسوخ، فالمدني ينسخ المكي؛ إذ أن المتأخر ينسخ المتقدم.

2- الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم؛ إذ أن معرفة مكان نزول الآية تعين على فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها، وما يراد فيها.

مثال ذلك : ما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى *وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} قال «وفي قوله تعالى: {فَصَلَّى} ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الصلوات الخمس؛ قاله ابن عباس ومقاتل.والثاني: صلاة العيدين؛ قاله أبو سعيد الخدري.والثالث: صلاة التطوع؛ قاله أبو الأحوص.

والقول قول ابن عباس في الآيتين، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة ولا عيد»

وإذا تأملت القول بصلاة العيد وجدته يدخل في عموم قوله تعالى: {فَصَلَّى}، لكن أن يكون هو المراد لا غيرُه، أو يكون هو المراد أولاً، ففيه النظر الذي ذكره ابن الجوزي والله أعلم (المحرر في علوم القرآن ص 118)

3- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو الشريعة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.

4- استخراج سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وذلك بمتابعة أحواله بمكة المكرمة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها.

5- بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به حيث إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني فحسب، بل تتبعوا أماكن نزوله، ما كان قبل الهجرة وما كان بعدها، ما نزل بالليل وما نزل بالنهار، ما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء، إلى غير ذلك من الأحوال.

6- معرفة أسباب النزول، إذ أن معرفة مكان نزول الآية توقفنا على الأحوال والملابسات التي احتفت بنزول الآية.

7- الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالما من التغيير والتحريف.

8- الاستفادة منه في الدعوة إلى الله بتنْزيل المقال على مقتضى الحال ، فالقرآن المكي كان يخاطب أغلبية كافرة لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فكان الخطاب يكثر فيه ذكر قضايا التوحيد الكلية وما يتعلق بإثبات النبوة والبعث، وغيرها ، والقرآن المدني كان يخاطب الدولة المسلمة التي استقرَّ أمرها، وصار الأمر والنهي فيها لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فظهر الحديث عن التشريعات والحدود، كما تجد الحديث عن الجهاد والمنافقين وغير ذلك، وكان لكل نوع من هذه الأنواع طريقة في خطابه ، فالداعية يستفيد من هذا في تنويع خطابه، فلا يكون خطابه وأسلوب تعامله واحداً لا يتغير، فإن كان يخاطب ملحداً فإن خطابه لا يكون كما يخاطب كافراً مؤمناً بالله، وإذا كان يخاطب كافراً مؤمناً بالله ـ كأهل الكتاب ـ فإنه يختلف في خطابه لهم عن خطابه لمبتدع، وخطابه لمبتدع يختلف عن خطابه لعاصٍ فاسقٍ، وهكذا يُنَزَّل لكل قوم ما يصلح لهم من الخطاب، والله أعلم.

طرق معرفة المكي والمدني :

الأمر في معرفة المكي والمدني على طريقين: الطريق النقلي والطريق القياسي الاجتهادي.

أما النقلي :

فإذا وقع الاتفاق أو وقع النقل عن واحد من الصحابة ليس له مخالف فالأمر على ما قال، والمنقول هو الأغلب الأعم في باب المكي والمدني دون القياسي.

وأما القياسي الاجتهادي : فإنه يقوم على معرفة ما يمكن القياس عليه، وهو ما دلَّ بالاستقراء من موضوعات المكي والمدني وأسلوبهما في السور والآيات، وقد استنبط العلماءُ عدداً من الضوابط التي يُعرف بها المكي والمدني (المحرر في علوم القرآن)

واعلم أن المكي والمدني بدأ بشكل روايات يتناقلها الصحابة والتابعون، "ولم يرد في ذلك بيان عن النبي - صلى الله عليه وسلم-، وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانا، (وليس بعد العيان بيان)" المكي والمدني (ص: 1، بترقيم الشاملة آليا)

وكان للسلف طريقتان في التعبير عن النُّزول:

الأولى: روايات تذكر كل السور، وتميز مكيها من مدنيها.

الثانية: روايات متفرقة تذكر المكي والمدني، ويكثر في هذه الروايات الإشارة إلى أماكن نزول الآيات.

وفي كلا الطريقتين لم يقع منهم نصٌّ مباشر على الزمان (قبل الهجرة، وبعد الهجرة).(المحرر ص 117)

وقوله (وإِنْ تَسَلْ): تسأل، بالنقل كوقف حمزة عليها في نحو " ولا تسأل "

- (وإِنْ تَسَلْ): عن التفصيل، عن سور القرآن تفصيلاً:

فَالمَدَنِيْ أَوَّلَتا القُرْآنِ مَعْ أَخِيرْتَيْهِ ، وكذا الحَجُّ تَبَعْ

عدّد «الزركشي في البرهان» والسيوطي في الإتقان كلا من السور المكية والسور المدنية، والسور المكية خمس وثمانون والسور المدنية تسع وعشرون، على اختلاف الروايات، ووقع الاختلاف في اثنتي عشرة سورة (المدخل إلى علوم القرآن الكريم (ص: 94

-**فالمدني**: تسعٌ وعشرون سورة ، والمكي: خمس وثمانون سورة.

- يذكر الأقل؛ لأن حصرهُ أيسر، ثمّ يُحيلُ بالباقي على النوع الثاني؛ فالمدني وعدّةُ سورِهِ تسعٌ وعشرون.

واعلم أنه قد تكون السورة كلها مكية وقد تكون كلها مدنية وقد تكون السورة مكية ما عدا آيات منها وقد تكون مدنية ما عدا آيات منها فتلك أربعة أنواع:

- مثال النوع الأول سورة المدثر فإنها كلها مكية. ومثال الثاني سورة آل عمران فإنها كلها مدنية ومثال الثالث سورة الأعراف فإنها مكية. ما عدا آية {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} قاله قتادة. واستثنى غيره هذه الآية المذكورة وما بعدها من الآيات إلى قوله سبحانه: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ} وقال: إن تلك الآيات مدنية. ومثال النوع الرابع سورة الحج فإنها مدنية ما عدا أربع آيات منها تبتدئ بقوله سبحانه {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى} إلى قوله {عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} .
- واعلم أن وصف السورة بأنها مكية أو مدنية يكون تبعا لما يغلب فيها

أو تبعا لفاتحتها فقد ورد أنه إذا نزلت فاتحة سورة بمكة مثلا كتبت مكية ثم يزيد الله فيها ما يشاء. مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 199)

قال بعض الباحثين : وبالاستقراء فإن مجموع الآيات المدنية في القرآن لا يزيد على ربع مجموع الآيات المكية ومع ذلك فإننا نجد مساحتها في المصحف تزيد على الآيات المكية زيادة واضحة. المنار في علوم (القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره (ص: 97

- ثم شرع الناظم يبين المدني من السور :
- **(أَوَّلَتا القُرْآنِ)**: السورتان الواقعتان في أوّل القرآن، ومُقتضى الأوّلية المطلقة أن يكون المراد الفاتحة والبقرة، لكن ليس هذا هو المقصود ، بل يَقصدُ بذلك البقرة وآل عمران ، فهذه أوّليةٌ نسبية وليست مُطلقة، ومثله ما جاء في تحزيبهم للقرآن، وتقسيمه على الأيّام السبعة، يقرؤن القرآن في سبع؛ كانوا يحزبون القرآن ثلاث، ثم خمس، ثم سبع، ثم تسع، ثم إحدى عشرة ، ثم الثلاث

عشرة، ثم حزب المفصل.فالمراد بالثلاث الأول: البقرة وآل عمران والنساء. وليس المراد بها: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران.

(مَعْ أَخِيْرَتَيْهِ)

- المعوذتين؛ {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ }(1) و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }(2)فأولتاه وآخرتاه مدنيتان.
- **(وكذا الحَجُّ تَبَعْ)**: البقرة وآل عمران والمعوذتان؛ هذه أربع، والحج الخامسة تبع.

ا وقد قال بعض العلماء " سورة (الحج) من أعاجيب القرآن، فيها مكي ومدني، وحضري وسفري، وليلي ونهاري، وحربي وسلمي، وناسخ ومنسوخ، فالمكي من رأس الثلاثين إلى آخرها، والمدني من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين، والليلي خمس آيات من أولها والنهاري من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتي عشرة، والحضري إلى رأس العشرين ".

(الزيادة والإحسان في علوم القرآن (6/ 430

مائِدَةٌ ، مَعْ مَا تَلَتْ ، أَنْفَالُ براءَةٌ ، والرَّعْدُ ، والقِتَالُ

- **(مائِدَةٌ)**: هذه السادسة؛ يعني سورة المائدة.
- **(مَعْ مَا تَلَتْ)**: يعني النساء؛ مع السورة التي تلتها المائدة. والسورة التي تلتها المائدة النساء.
- **(أَنْفَالُ)**: معطوفة. الأنفال مع حذف حرف العطف. فالأنفال السورة الثامنة من التسع والعشرين.
- **(براءَةٌ)**: معطوف أيضاً مع حذف حرف العطف. البراءة التاسعة

(والرَّعْدُ) والرعد العاشرة ، وقيل : مكية لاشتمالها على خصائص السور المكية، وكذا في رواية أبي عبيد، والنحاس، وهذا لا يمنع وجود آيات مدنية فيها.

- (**والقِتَالُ)**: والقتال التي هي سورة محمد-صلى الله عليه وسلم-الحادية عشرة.

وتَالِيَاها ، والحَدِيْدُ ، النَّصْرُ قِيامَةٌ ، زَلْزَلَةٌ ، والقَدْرُ

- **(وتَالِيَاها)**:تاليا القتال: الفتح والحجرات؛ الثانية عشرة والثالثة عشرة.
- **(والحَدِيْدُ ، النَّصْرُ)**: الحديد الرابعة عشرة، والنصر الخامسة عشرة.

- **(قِيامَةٌ)**: السادسة عشرة.
- **استدراك** :
- **قوله (قيامة)** كذا في النظم تبعا لأصله ، والصواب: (قيّمة) — ووقعت كذلك في نسخة خطية للمنظومة قاله العصيمي – وليست قيامة؛ لأن القيامة مكية بالإجماع والقيمة مدنية عند الجمهور. {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا }: هذه مدنية عند الجمهور. أما سورة القيامة {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ }(2): هذه مكية. السادسة عشرة
- والسابعة عشرة: (**زَلْزَلَةٌ**): {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ } الزلزلة.
- **(والقَدْرُ)**: الثامنة عشرة: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ }.

والنُّورُ ، والأَحْزَابُ ، والمُجَادِلَةْ وَسِرْ إلى التَّحْرِيْمِ وَهْيَ داخِلَةْ

- **(والنُّورُ)**:هي التاسعة عشرة.
- **(والأَحْزَابُ)**: العشرون.
- **(والمُجَادِلَةْ)**:الحادية والعشرون.
- **(وَسِرْ إلى التَّحْرِيْمِ)**: سر من المجادلة إلى التحريم؛ يعني الجزء الثامن والعشرون كله مدني
- وفيه الحشر، والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم إلى التاسع والعشرون هي الأخيرة؛ هذا كله مدني

قال:(**وهي داخلة**) للخلاف في دخول الغاية ؛ لئلا يقول: أن التحريم ليست داخلة في المغيا، ولذلك نص عليها وهي داخلة في المغيا وهي التاسعة والعشرون.

- ولا تخلو هذه السور من خلاف، لكن هذا هو المرجح وهو قول الجمهور؛ على أن في السور المكية آيات مدنية. وفي السور المدنية بعض الآيات المكية.
- ويقول أهل العلم: أن الذي لا يعرف المكي من المدني، ولا يعرف الآيات المكية في السور المدنية، والعكس لا يجوز له أن يتعرض لتفسير القرآن. وهذا من الشرائط التي يشترطها أهل العلم فيمن يتصدى للتفسير.

وما عَدا هَذا هُوَ المكِيُّ على الَّذي صَحَّ بهِ المَرْوِيُّ

عدد السور المكية خمس وثمانون سورة.

- **(على الَّذي صَحَّ بهِ المَرْوِيُّ)**: وهناك خلاف في بعض السور التي ذكرت في المدني، عند بعض أهل العلم أنها مكية.
- من أهل العلم من يقول: النساء، والرعد، والحديد، والحج، والصف، والتغابن، والمعوذتان مكيات. والأصح والأرجح أنها مدنيات. وبالمقابل من الخمس والثمانين المرجح أنها مكيات، وقد قِيلَ: في الرحمن والإنسان والإخلاص والفاتحة من المدني.

والخلاف في الفاتحة معروف عند أهل العلم : لكن المرجح أنها مكية؛ لأنه جاءت الإشارة إليها في سورة الحجر وهي مكية: { آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ } وهي سورة الفاتحة. ومنهم من يقول: مدنية.، ومنهم من يقول: نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة.، ومنهم من يقول: نصفها مكي، ونصفها الثاني مدني.لكن المرجح عند أهل العلم أنها مكية.

أسباب اختلاف العلماء في السور مكيها ومدنيها :

هناك أسباب أدت إلى اختلاف أهل العلم حول تعيين المكي والمدني، وتنحصر تلك الأسباب فيما يلي:

أولا: عدم التنصيص من الرسول – صلى الله عليه وسلم – على هذا الأمر،

ثانيا: الاختلاف في تحديد مصطلح المكي والمدني.

ثالثا: توهم قطعية بعض الضوابط وخصائص المكي والمدني، مع أن تلك الضوابط والخصائص مبناها على الغالبية، لا على التحديد القاطع الذي لا يقبل التخلف أو الاستثناء.

رابعا: الاعتماد على الروايات الضعيفة التي لا ترتقي بمستوى الاحتجاج رغم وجود روايات صحيحة في الموضوع.

وهذا الاختلاف كان في الآيات أكثر منه في السور، وبهذا كان لا بدَّ من الاجتهاد في هذا المختلَف فيه، وكان لا بدَّ من وجود ضوابط للترجيح في هذا الاختلاف (المحرر في علوم القرآن)

واعلم أن الأصل في السورة المكية أن تكون كل آياتها مكية، ولا يقبل القول بمدينة بعض آياتها إلا بدليل استثنائي صحيح، كما أن السورة المدنية يحكم بجميع آياتها بأنها مدنية، إلا ما خرج بدليل استثنائي صحيح.

مثال ذلك : سورة الإسراء مكية ، واستثني منها " ويسألونك عن الروح " الآية ، أخرج البخاري عن ابن مسعود أنها نزلت بالمدينة في جواب سؤال اليهود عن الروح

خصائص السور المكية وضوابطها :

أولا :الخصائص

من حيث الأسلوب

يغلب عليه أسلوب التعنيف والتهديد والتخويف، مع قصر السور والآيات وقوة الألفاظ وإيجاز العبارة ، لأن أهل مكة كانوا مشركين أشداء في عداوتهم قساة القلوب، مع فصاحتهم وبلاغتهم ، وكان لا بد من مخاطبتهم بما يلائم حالهم، ويتلاءم مع الوضع النفسي الذي كان قائما آنذاك، ولهذا استعمل القرآن كلمة «كلا» الدالة على الزجر والإنكار، وخاطبهم بلفظة «يا أيها الناس»، وأكثر من قصص الأنبياء بهدف الإقناع، واستشهد بما وقع للأمم السابقة، واستعمل حروف التهجي، وذكر قصة آدم وإبليس ليدلل على الصراع بين الخير والشر والإيمان والكفر، وجاءت الآيات موجزة، والسور قصيرة، وهي مليئة بالقسم.

من حيث الموضوع

حثت الآيات المكية على تصحيح العقيدة، ونبذ الشرك، والإيمان بالله وحده، والإيمان بالبعث، ودعت هذه الآيات إلى الالتزام بالأخلاق والاستقامة ومحبة الغير، ورفض كل أنواع الفسوق والعصيان والإضرار بالغير والاعتداء على حقوق الآخرين، ومن الطبيعي أن يقترن ذلك بالتنديد بالعادات التي كانت سائدة

في العصر الجاهلي من وأد البنات وعبادة الأصنام وظلم القوي للضعيف، وشرب الخمور وغير ذلك، مع تقرير أصول العبادات والمعاملات والفضائل العامة (المدخل إلى علوم القرآن الكريم بتصرف (ص: 96

ثانيا الضوابط :

1- كل سورة فيها (كلا)

2- كل سورة فيها سجدة تلاوة

3- كل سورة تبدأ بقسم

4- كل ما افتتح بحروف التهجي ، عدا البقرة وآل عمران، واختلف في الرعد

5- كل سورة فيها يأيها الناس وليس فيها يأيها الذين آمنوا ، واختلف في الحج

6- كل سورة مفتتحة بالحمد

7- كل سورة فيها قصص الأنبياء إلا البقرة

خصائص السور المدنية وضوابطها

أولا: الخصائص:

من حيث الأسلوب :

1- سلوك الإطناب والتطويل في آياته وسوره.

2- سهولة ألفاظها وخلوها من الغريب اللغوي في الغالب.

3- الأسلوب الهادئ والحجة الباهرة عند مناقشة أهل الكتاب، والأسلوب التهكمي عند مجادلة أهل الكتاب وفضح نواياهم الخبيثة.

من حيث الموضوع :

4- التحدث عن التشريعات التفصيلية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية.

5- بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد، وحكمة تشريعه، وذكر الأحكام المتعلقة بالحروب والغزوات والمعاهدات والصلح والغنائم والفيء والأسارى.

6- دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ومناقشتهم في عقائدهم الباطلة وبيان ضلالهم فيها.

7- بيان ضلال المنافقين وإظهار ما تكنه نفوسهم من الحقد والعداوة على الإسلام والمسلمين

ثانيا الضوابط:

1- كل سورة فيها يأيها الذين آمنوا وليس فيها يأيها الناس

2- كل سورة فيها إذن بالجهاد أو ذكر له وبيان لأحكامه فهي مدنية.

3- كل سورة فيها تفاصيل لأحكام الحدود والفرائض والحقوق، والقوانين المدنية والاجتماعية والدولية فهي مدنية.

4- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت، إلا أن الآيات الإحدى عشرة الأولى منها مدنية وفيها ذكر المنافقين.

مناقشة المستشرقين حول المكي والمدني:

واعلم أن سمات المكي والمدني الأسلوبية وكذا الموضوعية خاضعة لقضية البلاغة الجوهرية والمسلمة لدى كل ذي إلمام بالبلاغة والبيان عربيا أو غير عربي، وهي مراعاة مقتضى الحال، لذلك نجد في المكي سورا طوالا بل من أطول الطوال ونجد في المدني سورا قصارا وفيها الآيات والفقرات القصيرة، بل من أقصر القصار، كما في سورة «الفتح» وسورة «الكوثر» وهي أقصر سورة في القرآن وهي مدنية كما ثبت بذلك الحديث الصحيح الذي لا يقاوم ، كذلك نجد في المدني شدة أحيانا، كما في هذه الآيات من مطلع سورة «الصف» المدنية بالاتفاق "سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ"

بل نجد في المدني ما بلغ الغاية في الشدة والتخويف، كما في قوله تعالى في سورة آل عمران (1

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

كما قد نجد كذلك في المكي اللين والعفو البالغ أقصاه، كقوله تعالى في سورة «فصّلت»:

"وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ".

فادعاء خلو القرآن المكي من الحجج والأدلة قلب للقضايا وعكس للأوضاع ومناقضة للحقائق، فالقرآن المكي من سماته الموضوعية اعتناؤه بالدلائل العلمية الكونية على عظمة الله تعالى ووحدانيته، وعلى إبداع حكمته وجليل علمه وقدرته، حتى كانت فيه دلائل الإعجاز العلمي، الذي ألّفت ولا تزال الكتب تؤلّف في كشف عجائب هذا الإعجاز، وأسرار دلالته على موافقة ما يكشفه العلم بعد هذه القرون والحقب الطوال ، وكذلك نجد في القرآن المكي الدلائل العقلية القاطعة على حقّيّة التوحيد،

والقيامة، وبعث الرسل وغير ذلك "مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ".

ومن ذلك نتبين فساد ما توهمه بعض المستشرقين، ومن تبعهم من توهم أو تصور ما زعمه بعضهم من تأثر القرآن بالبيئة ، والنتيجة التي يرمون إليها هي أن القرآن مفكك الأجزاء غير متصل الحلقات وأنه خاضع للظروف متأثر بالبيئة.

فالخلاصة أن القرآن كله قام على رعاية حال المخاطبين فتارة يشتد وتارة يلين تبعا لما يقتضيه حالهم سواء منهم مكيهم ومدنيهم بدليل أنك تجد بين ثنايا السور المكية والمدنية ما هو وعد ووعيد وتسامح وتشديد وأخذ ورد وجذب وشد كما سبق لك في الأمثلة والشواهد الكثيرة. وإذا لوحظ أن أهل مكة كثر خطابهم بالشدة والعنف فذلك لما مردوا عليه من أذى الرسول وأصحابه والكيد لهم حتى أخرجوهم من أوطانهم. ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا إليهم الأذى في مهاجرهم. مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 212)